

قبل اللعبة

قدمنا فيما سبق كيف أن الجنون هو اختيار من مستوى أعمق من مستويات الوعى، وكيف أن المريض (العقلى بالذات) لا يكتشف ذلك إلا بعد بداية المرض عادة، وكيف أن الطبيب في العلاج المكثف يمكن أن يُحمّل مريضه مسئولية اختياره هذا، ثم هو (المعالج) يحملها معه (مع المريض)، ليتواكبا معا على طريق الشفاء.

عادة ما يعترض الأسوياء ومرضى العصاب على هذا "الفرض"، ويتصورون أنه اتهام للمريض النفسى، وكأن ما به - هكذا - نوع من التمارض، مع أنه عكس ذلك تماما، وقد بينا قبل ذلك كيف أننا - بذلك - إنما نختزم إرادة المريض على كل المستويات، فالمريض حين اختار المرض كان يجب أنه الحل في مواجهة القهر والاعتزاب مثلا، وحين يفشل هذا الحل المرضى تلقائيا، أو بمساعدة المعالج، فإنه قد يفكر أن يقبل عرض العودة إلى مستوى آخر من الصحة بمواكبة الطبيب المعالج كتفا لكتف، وخبرة بخبرة، نحو الشفاء المتنامى.

من نفس المنطلق فإن المريض أثناء العلاج النفسى المكثف، وبالذات أثناء العلاج الجمعى، يمكن، وهو يقترّب من الشفاء، أن يتردد في أن يخطو نحو السواء، لأنه إذ يفعل ذلك إنما يتنازل ضمنا عن الحل المرضى، وهو لم يضمن - بعد - عادة - عدم إعادته إلى حظيرة ما كان فيه مثل الغربة أو القهر أو الظلم (ولو في صورته).

يعبر المرضى - العقلليون بالذات - عن ذلك بشكل مباشر أحيانا، أو عن طريق لعبة نفسية من ألعاب العلاج الجمعى أحيانا أخرى.

وهذا ما حدث:

في هذه الجلسة، استُدرج كل من الأطباء المعالجين والمرضى على حد سواء إلى فحص احتمالات وتشكيلات كل من إرادة الصحة وإرادة المرض، دون تعريف أو تحديد بالألفاظ لأى من "الصحة" أو "المرض".

في يومية سابقة بيننا صعوبة تحديد الحد الفاصل بين الصحة والمرض، كما قدمنا الصعوبة المحيطة بإشكالات ذلك، وفي الخبرة الحالية التى نقدمها اليوم تبين لنا أن كلا من إحداث المرض والشفاء منه ومقاومة هذا وذاك، كل هذا له إيقاعات وبرامج داخلية تظهر تلقائيا في الممارسة الحياتية، والحوار الطلق، دون حاجة إلى وصاية أو تعريف.

هكذا وجدنا أنفسنا أثناء اللعبة - اختياريا حسب قواعد المجموعة - نكشف عن ظاهرة جديدة بدرجة ما، إذ تبين لنا احتمال أنه حتى السليم ربما يخاف أن "يشفى"، كيف ذلك وهو ليس مريضا أصلا؟

وتوالت التساؤلات:

هل يوجد في كل منا ما يمكن أن يسمى مرضا دون تحديد؟

هل توجد داخلنا - وأحيانا خارجنا - مقاومة للشفاء، كما توجد مقاومة

للمرض؟

وفيما يلي بعض ما اخترنا من مقتطفات:

.....

.....

د. يحيى: عامل إيه يا أحمد؟

أحمد: الحمد لله

د. يحيى: ما جيتشى الأسبوع اللى فات ليه؟

أحمد: فيه أمور في الشغل باحاول أظبطها

د. يحيى: الله الله !!! يمكن خفيت

أحمد: ماشى

.....

.....

د. يحيى: تيجى نقرر إنك خفيت، زى ما عملنا مع أمانى
أحمد: لأ لسه

د. يحيى: يا شيخ ما تياله نتوكل ونقرر إنك خفيت،... أو على الأقل إنك تحف
أحمد: مش عارف،..... مش عاوز أخف دلوقتى

د. يحيى: مش عايز تحف دلوقتى!!! يا واد يا واعى، بصراحة باينها أحسن، خليك
يا راجل قاعد فى اللى انت فيه شوية، أحسن ما تحف بقى وتبقى حاضر وتتألم وتعمل
علاقة مع الناس، وتستحمل، وكلام من ده، يا ترى هما حا يستحملوك ولا لأه، بلا هذه،
آدى احنا قاعدين...!!

(د. يحيى يلتفت إلى "سمير" وقد ضحك عاليا بعد أن سمع هذا التعليق)

د. يحيى: إيه يا سمير، فيه إيه؟ بتضحك على إيه؟

سمير: على كلامه طبعاً

د. يحيى: كلام مين؟

سمير: على كلام أحمد، بيقول مش عايز يحف

د. يحيى: من حقه يا أخى، راجل صريح وعارف اللى فيها، لو تبص كويس فى نفسك

يمكن تلاقىك زيه

سمير: لأ طبعاً مش معقول

.....
.....

(وتطور الحوار، وابتعد عن هذه المنطقة قليلاً، ثم عاد إلى نفس النقطة هكذا):

د. يحيى: ياللا نشتغل فى ده النهارده، نبتدى بيك يا سمير عشان انت اللى ضحكت

عل الفكرة دى وزى ما تكون رفضتها من أصله، ياللا نقول "يانهار أسود دا أنا لو
خفيت،.. كذا كذا كذا....."، كلنا حانلعبها بما فى ذلك الدكاترة، هما مش عيانيين

بس حايلعبوها إذا حبوا

سمير: طيب جرب على واحد غيرى كده

.....

د. يحيى: لأه إنت ابتدى:..... ياخير أسود دا أنا لو خفيت..وتكمل...

.....

سمير: ياخير أسود يامدوح، دا أنا لو خفيت مش حاشوفك فى الجروب تانى. تمشى دى؟

د. يحيى: كله يمشى، إحنا عندنا كله يمشى

.....

د. يحيى: حا تلعب مع إثنين ثلاثة؟ ولا مع كله؟

سمير: أنا ممكن ألعبها مع كله، عادى، مش حاتفرق معايا

د. يحيى: بس ماتعيدشى

سمير: مش حاعيد ولا حاكرر كلامى

سمير: ياخير أسود يا دكتورة دينا دا أنا لو خفيت، مش حاتشوفى وشى طبعاً

د. يحيى: مش قوى يا سمير، زى ما تكون بتكرر... ..

سمير: (مكملاً اللعبة): ياخير أزرق يادكتورة دينا دا أنا لو خفيت مش حاجى هنا

تانى

د. يحيى: شوف برضه بتكرر شوية، بصراحة إنت بتستسهل، كفاية كده ومش ضرورى

كل واحد يلعبها مع الكل، (.....) كفاية اتنين ثلاثة، كل واحد يلعب مع
مريض ومريضة وأى دكتور منا، تدى الكورة لمن يا سمير

سمير: لانصاف

د. يحيى: هو الستات فى الغالب حايعملوها احسن، ياللا يا إنصاف

.....

إنصاف: هيا إيه؟ ياخير أسود إيه؟

د. يحيى: هو سمير قلبها أزرق، المهم، ياخير أسود، يا خير أزرق ما تفرقشى، دا

أنا لو خفيت، وتكلمى، بس بتمثيل بوشك وجسمك وكله

سمير: وفى الآخر تصوتى

د. يحيى: الظاهر حانصوت كلنا مع بعض فى الآخر

.....

إنصاف: ياخير أسود

د. يحيى: بتقولى لمن

إنصاف: لأحمد

د. يحيى: قولى له يا أحمد

إنصاف: يا أحمد يا خير أسود

د. يحيى (مقاطعاً): فىن إيدىك وتشلشلى، يا خير أسود

.....
إنصاف: يا خير أسود يا أحمد دا أنا لو خفيت مش حاشوفك تاني

.....
إنصاف: يا خير أسود يا أمانى دا أنا لو خفيت مش حاسم صوتك تاني

.....
د. يحيى: تدى الكورة لمين، يا إنصاف
إنصاف: لأحمد

.....
أحمد: ماشى حاقول للدكتوراة دينا:

ياخير أسود دا أنا لو خفيت حاتحمل المسؤولية أكثر

د. يحيى: ياه !! ما هو انت اللى من الأول فتحت علينا الحكاية دى، واهو انت أهه ماشى فى نفس الاتجاه اللى إنت شاورت عليه من الأول، كتر خيرك، أصل ده هؤا اللى وصلنى بابنى وخلص أفكر نلعب اللعبة دى، ياللا بقى يا أحمد خد لك بقى حد تانى
أحمد: يا خير أسود يا "مدوح" دا أنا لو خفيت أخاف أحسن تتعب إنت تانى
د. يحيى: شكرا،

حد من الدكتوراة عاوز يلعب علشان أنا حاسس إن المسألة مش ماشية، يمكن الدكتوراة يخلوها تتحرك شوية... حد من الدكتوراة عاوز يلعب رغم إن إحنا مش عيانيين

د. ياسمين: (تنظر، ثم تشير إلى د. دينا طاهر): الدكتوراه دينا عايزه تلعب

د. يحيى: ...شكرا، مادام انت متبرعة كده يا دينا، يبقى تلعبها بقى وانت

بتمثلنى

د. دينا طاهر: يا أمانى: ياخير أسود ، يا خير أسود: دانا لو خفيت حاشيل همك

اكثر

د. دينا طاهر: يا ياسمين: ياخير أسود انا لو خفيت يمكن أفهمك أكثر

د. دينا طاهر: يا أحمد: يا خير أسود انا لو خفيت حاشتغل وابقى احسن

د. يحيى: مجد اشكرك انا عايز أمانى تلعب رغم انى كنت قفلتها، بس مافيناش بقى

حكاية اشوفك اكثر وماجيش اكثر ما اروحش اكثر

أمانى: يا دكتوراة دينا (دينا طاهر) يا اخير أسود دا انا لو خفيت يمكن

احتاجلك تانى

أمانى: يا سمير يا خير أسود دا انا لو خفيت يمكن ما تعرفش تكلمنى تانى

أمانى: يا دكتوراة ياسمين يا خير أسود دا انا لو خفيت يمكن ما اقعدش القاعدة

الخلوة دي تانى

د. يحيى: مين عايز يلعب،

(صمت يطول).....

طيب... مين عايزنى ألعب؟، الظاهر من كتر احترامى لدينأ، لقيت نفسى عايز اللعب انا شخصيا زى ما يكون باشاركها أو بابلغها احترامى،

(يطلب أكثر من واحد أن يلعب د. يحيى)

د. يحيى: يا أحمد يا خير أسود دا انا لو خفيت مش حاعرف اشوفك كويس، يمكن يعنى

د. يحيى: يا دينا (دينا طاهر) يا خير أسود دا انا لو خفيت يمكن قدرتى على

المعرفة تقل

د. يحيى: يا إنصاف يا خير أسود دا انا لو خفيت يمكن اريح تريحه غيبه

.....

د. يحيى: إيه رأيكم؟ عايزين نلعب العكس، يا ياسمين...، يعنى نقول: يا حلاوة دا

انا لو خفيت.....كذا كذا.

سمير: يا حالوي دا انا لو خفيت ...

د. يحيى: طيب، ياللا يا سمير إبتدى

سمير: انا مش عارف انت بتجيبني ليه فى الاول

د. يحيى: عشان انت اللى اتسحبت من لسانك، ثم إنك انت اللى بديت المرة اللى

فاتت، مش عايز، إدى الكورة لحد

(يلتف د. يحيى لأمانى، بعد أن لاحظ أنها كانت ساهمة)

د. يحيى: ..إيه؟ رحق فين يا أمانى؟ مش انت لعبتى يا نهار أسود ، تبقى تلعبى

العكس بقى

أمانى: آه

د. يحيى: يعنى تلعبى يا حلاوة دا انا لو خفيت

أمانى: يا دكتوراة دينا (دينا طاهر) يا حلاوة دا انا لو خفيت حاكون انسانة

مختلفة

أمانى: يا سمير يا حلاوة دا أنا لو خفيت حاكون اكر إيجابية
أمانى: يا دكتور ياسمين يا حلاوة دا أنا لو خفيت حا يرتاح بالي
(ثم تنتقل اللعبة العكسية بعد استطرادة قصيرة إلى د. دينا طاهر)

د. يحيى: ياللا يا دينا

د. دينا طاهر: أنا

د. يحيى: آه طبعاً مش انت اللي ابتديتي يا نهار أسود بطيبة وصدق، تبقى تلعي

يا حلاوة

د. دينا طاهر: يا سمير يا حلاوة دا أنا لو خفيت مش حا بطل أرقص

د. دينا طاهر: يا أمانى يا حلاوة دا أنا لو خفيت ممكن أبقى ناس موجودة

بالنسبة لكى

د. دينا طاهر: يا دينا (التابعى) يا حلاوة دا أنا لو خفيت حقف بجانبك أكثر

(ثم تنتقل إلى د. يحيى)

د. يحيى: يا صفية يا حلاوة دا أنا لو خفيت حا عرف رينا أجمل

د. يحيى: يا دينا يا حلاوة دا أنا لو خفيت كنت أعلمك أسهل

د. يحيى: يا أحمد يا حلاوة دا أنا لو خفيت حا قدر ماسيبكشى أبداً

.....

.....

(ثم تنتقل إلى د. ياسمين)

.....

د. ياسمين: يا دكتور يحيى يا خير أسود دا أنا لو خفيت مش حا عرف أشتغل تانى

د. ياسمين: يا إنصاف يا خير أسود دا أنا لو خفيت حا بعد أوى

د. ياسمين: يا أحمد يا خير أسود دا أنا لو خفيت حا كامل شيل مسؤوليه

(وتلعب أيضاً فى الاتجاه العكسى)

.....

د. ياسمين: يا دينا (دينا طاهر) يا حلاوة دا أنا لو خفيت حا بطل أفكر كثير

د. ياسمين: يا أمانى يا حلاوة دا أنا لو خفيت حا رقص مع بعض

د. ياسمين: يا مصطفى يا حلاوة دا أنا لو خفيت حا عمل كل اللي نفسى فيه

(ثم تلعب دينا التابعى فى الاتجاهين دون أن تستعمل حقها فى الاعتذار: النور

الأحمر)

د. دينا التابعى: يا دينا (دينا طاهر) يا خير أسود دا أنا لو خفيت حا توجع

تانى

د. دينا التابعى: يا أحمد يا خير أسود دا أنا لو خفيت حا شتكى أكثر

د. دينا التابعى: يا ممدوح يا خير أسود دا أنا لو خفيت حا حاسب أكثر

(وبالعكس)

د. دينا التابعى: يا أمانى يا حلاوة دا أنا لو خفيت عمرى ما حانساكى

د. دينا التابعى: يا ياسمين يا حلاوة دا أنا لو خفيت يرتاح بالي

د. دينا التابعى: يا سمير يا حلاوة دا أنا لو خفيت حا بقى حاجة تانية

وبعد

الانطباع المبدئى - بعد تحمل غرابة اللعبة وتأجيل الاعتراض على ما بها من

مخالفة للمنطق الشائع بين الناس- هو أن لعب الأطباء بدت دلالتة أكبر بكثير من لعب

المرضى، مع أن المتوقع، بالمنطق السائد هو أن يكون الأمر بالعكس.

وغدا ننشر التعقيب على اللعبة أثناء الجلسة، ثم توجهات الأفكار والفروض

اجتهادات التفسير.

(ملحوظة: كل المرضى المشاركين يعانون (أو كانوا

يعانون) من أمراض جسيمة (التي يطلقون عليها عقلية) فيما

عدا أحمد، ونعتذر عن تسميته باسم محدد، لأن هذا لا يتفق مع

المنهج الذى اخترناه تجنباً للاختزال والنمطية.

تنوية: جميع الأسماء فيما عدا الأطباء مستعارة كالعادة.